النظرية العلمية

تحتل النظرية العلمية مكانة متميزة في البحث العلمي الطبيعي والاجتماعي، ويشير وجودها واكتمالها إلى نضج النظام العقلي التفكيري التي تشكل أحد عناصره. وتمثل النظرية الهدف الرئيسي للمنهج العلمي أي غاية المنهج العلمي لأنه من خلالها يتم تقدير دور كل من الوقائع والمفاهيم والفروض والقوانين في تحقيق غايات المنهج العلمي.

1-تعريف النظرية العلمية:

تعرف النظرية بأنها "عبارة عن إطار فكري يفسر مجموعة من الحقائق العلمية ويضعها في نسق علمي مترابط." كما أنها " تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي".

كما تعرف بأنها " مجموعة من القضايا التي ترتبط معا بطريقة علمية منظمة، والتي تعمل على تحديد العلاقات السببية بين المتغيرات"، وهي أيضا " مجموعة مترابطة من التعريفات والمفاهيم والقضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر والتنبؤ بها".

وانطلاقا من هذه التعاريف يمكن تحديد **عناصر لبناء النظرية** وهي:

أ- وجود إطار تصوري: وهي مجموعة من المفاهيم تتناول موضوع النظرية، وتقتضي صياغة النظرية ضرورة تحديد إجرائي لكافة لمفهومات التي تتضمنها النظرية من خلال ربطها بالشواهد الميدانية.

ب- وجود مجموعة من القضايا بحيث تقر ركل قضية علاقة معينة بين متغيرين على الأقل، أحدهما المتغير التابع والآخر هو المتغير المستقل.

ج- ترتيب القضايا التي تشكل النظرية في نسق استنباطي (استنتاجي) ومعناه وضع المقدمات في البداية ثم الانتقال إلى النتائج، مع مراعاة مبدأ عدم التناقض عند استنباط كل قضية من القضية التي تسبقه.

د- قيام النظرية بتفسير الوقائع التي تشمل عليها، فكلما فسرت النظرية قدرا أكبرا من الوقائع، كلما زادت قوة ويقينا.

2- شروط النظرية العلمية: يشترط في النظرية العلمية ما يأتي:

أ- الإيجاز: يجب أن تكون النظرية العلمية موجزة في التعبير عن الحقائق التي تشتمل عليها، أي أنها يجب أن تكون ملخصة في مفردات محددة ودقيقة.

ب- الشمول: يجب أن تشتمل النظرية على جميع الحقائق الفرعية التي تنطوي عليها، وأن تفسر أكبر عدد من الظواهر.

ج- الإنفراد: يجب أن تنفرد النظرية بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها، فوجود نظرية أخرى تفسر نفس الحقائق التي تفسرها النظرية الأولى يضعف الأهمية العلمية للنظريتين.

د- القدرة على التنبؤ: يجب أن تساعد النظرية العلمية على التنبؤ بالظواهر المختلفة قبل حدوثها، فإذا ظهر أن هذه التنبؤات صحيحة ازدادت قوة وتأكيدا.

هـ- الواقعية: النظرية ليست تأمل خيالي، بل هي قضية نابعة من الواقع تعتمد على ملاحظات ودراسات واقعية، كما أنها قابلة للاختيار العلمي.

3- وظائف النظرية العلمية: تقوم النظرية العلمية بعدة وظائف تبرز أهمها فيما يلي:

أ- الوصف الدقيق للموضوع: يعد الوصف هو الوظيفة الأولى للنظرية، والبوصف هو عملية يتم من خلالها رسم صورة واقعية عن الظاهرة، إذ يحاول الباحث من خلال الوصف أن يجيب عن السؤال ماذا؟

فالمعرفة العلمية هي أبسط وصف للعلاقات بين العناصر بأقل جهد عقلي ممكن.

ويمثل الوصف خطوة أولية ينبغي أن تليها خطوات أخرى أو وظائف أخرى.

ب- التفسير العلمي للوقائع: يعرف التفسير بأنه البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الظواهر والكشف عن العلاقات التي تربط الظاهرة بغيرها من الظواهر، فالتفسير يكشف الدلالات العميقة الكامنة خلف المعطيات المشاهدة المباشرة.

ويجمع معظم فلاسفة العلم على أن التفسير هو أكثر وظائف النظرية أهمية، وهو يجيب على سؤال لماذا؟ كما أن الهدف من التفسير هو تقديم إجابات عن الأسئلة المطروحة من أجل الوصول إلى تعميمات أو علاقات تساعد على فهم الظواهر وإزالة الغموض الذي يكتنفها.

ج- التنبؤ: هو توقع الأحداث والنتائج قبل حصولها، ويعتمد على القياس الدقيق والقدرة على ضبط المتغيرات واستخدام الأساليب الإحصائية المختلفة.

والتنبؤ هو الحصاد الأخير لعمليتي الوصف والتفسير لأنه المعيار الأساسي لصحة القضايا العلمية المطروحة.

د- التحكم: يقصد به ضبط مسار الظاهرة وفق شروط معينة من أجل الاستفادة من ذلك بصورة تطبيقية، وهو الوظيفة النهائية للعلم

هـ- تحديد المجال الأساسي للعلم: تحدد النظرية مجال دراسة كل علم، كما تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يتجه إليها الباحث في ميدان دراسته، وبدون النظرية تتداخل ميادين البحث. إن النظريات العلمية توجه تفكير الباحثين نحو الموضوعات التي تشتمل عليها، ومن ثم يحاول الباحثون تطويرها إلى الأفضل.

و- الكشف عن أوجه القصور في المعرفة العلمية: عندما تتناول النظرية ظاهرة معينة أو مجموعة محددة من الظواهر فإنها تكشف في نفس الوقت عن موضوعات أخرى لم يتم تناولها، وبالتالي فهي تحتاج إلى دراسات معمقة لفهمها والكشف عن العلاقات التي تربطها بغيرها من الظواهر.